أرض الله الواسعة

تأملات في الآية (56) من سورة العنكبوت

د. رواء محمود حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفسير الحكمة القرآنية

البحوث والدراسات وأوراق العمل

أرض الله الواسعة

تأملات في الآية (56) من سورة العنكبوت

بقلم

د. رواء محمود حسين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أرض الله الواسعة

تأملات في الآية (56) من سورة العنكبوت

بقلم

د. رواء محمود حسين

شعبان/ 1435 هـ – حزيران/ 2014 م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم:

العيش في ظل آيات كتاب الله تعالى نعمة عظيمة لا يعلم قدرها إلا أولئك الذين شغلهم كتاب الله تعالى عن كل غاية سواه، فهو منبع الحكم وكتاب البراهين وهو الكلمة الخالدة والمعجزة الباهرة والآيات البينات.

في هذه البحث الموسوم: "أرض الله الواسعة: تأملات في الآية (56) من سورة العنكبوت" نعيش في تأويل مفهوم عظيم من مفاهيم كتاب الله سبحانه، وهو البشارة التي بشر الله تعالى عباده المؤمنين بأن أرضه واسعة، وأنها لن تضيق بهم، ولذلك أمرهم بالهجرة في سبيله إن لم يتمكنوا من عبادته في أرض ما أن يتحولوا عنها ويهاجروا منها إلى الأرض التي يستيطعون أن يعبدوا الله فيها. وهل لأرض الله سبحانه من حدود؟ الجواب: كلا، لأن الله سبحانه، وهو أصدق القائلين قد وصفها في كتابه: ب(الواسعة).

ومن أجل تفسير مفهوم (الأرض الواسعة) في الآية المذكورة من سورة العنكبوت قسّمت هذه الدراسة على مبحثين: الأول: "تأملات أولى في أرض الله الواسعة" عدت فيه إلى بعض المفاهيم العلمية الحديثة التي تلقي الضوء حول سعة الكرة الأرضية مصداقاً لقول الله تعالى، أم البحث الثاني فكان بعنوان: " أقوال المفسرين في تفسير الآية (56) من سورة العنكبوت: نماذج منتخبة".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهمية هذا البحث بالنسبة لي تكمن أنه أول بحث لي على طريق طويل أسميه (تفسير الحكمة القرآنية) وأسأل الله سبحانه أن يعينني على إكمال مشواره إلى النهاية التي أرجوها وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

رواء محمود حسين

24/ شعبان/1435 هـ

22/ 6 / 2014 م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

تأملات أولى في أرض الله الواسعة

الجغرافيا أحد العلوم المهمة التي اشتمل عليها كتاب الله تبارك وتعالى. ويأسف الاستاذ سيد مظفر الدين نادفي أنه لم تبذل محاولة جادة لوضع مؤلف يتناول ما جاء في القرآن الكريم من أمور تتصل بالمعالم الجغرافية والحوادث التاريخية. ولعل أحد المحاولات، كما يشير الأستاذ نادفي هو العمل الموسوم: "أرض القرآن"، للأستاذ سيد سليمان نادفي وقد وضعه باللغة الأدرية، ونشر الكتاب عام 1915. [1]

لكن ينبغي التنبيه إلا أن الملاحظة أعلاه قد مر عليها زمن طويل، وأن العديد من الدراسات والمؤلفات المهمة عن جغرافية القرآن الكريم قد صدرت بعد هذا التاريخ إلى اليوم.

فمن ذلك، دراسة د. خالد العبيدي والموسومة: "الهيدرولوجيا القرآنية"، وهو يشير إلى أن علم الهيدرولوجية أحد العلوم الرئيسية في هندسة المياه عموماً، وهو يدرس توزيع المياه على الأرض أو دورة المياه ومسيرتها منذ سقوطها كمطر ونزولها للأرض ثم جريانها في جداول تصب في الأنهار أو تغور في الاعماق لتتفجر عيوناً وينابيع وآبار، ثم لتصب في المحيطات

[1] سيد مظفر الدين نادفي: "التاريخ الجغرافي للقرآن"، ترجمة وتعريب د. عبد الشافي غنيم عبد القادر، مراجعة حسن محمد جوهر، لجنة البيان العربي، مصر، 1956 م، الصفحة (ط).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والبحار. ومن ثم تعاد الدورة لتتبخر من جديد فتتحول إلى سحب تساق بأمر الله تعالى إلى بلد ميت فتمطر وهكذا، وهذا ما يعرف اختصاراً بالدورة الهيدرولوجية أو دورة المياه في الطبيعة. [2]

تحتوي الجغرافية على حقائق ومفاهيم تم ذكرها في القرآن الكريم، وهي حقائق متنوعة (طبيعية وبشرية)، ويأتي بحث الاستاذة رنا الغريري والموسوم: " المعجم الجغرافي الخاص بألفاظ وآيات القرآن الكريم، دراسة في الجغرافية البشرية" لتكوين المعرفة بالآيات الخاصة بالظاهرة البشرية مع توضيح بسيط للصورة الإعجازية التي نزلت بها تلك الآية. ومن المعروف أن الدراسات المعجمية تعتمد التسلسل الأبجدي في جرد الظاهرة المدروسة، أما في هذا البحث فلم يعتمد على ذلك، ذلك أن لايمكنه تفسير أي ظاهرة جغرافية تم ذكرها في كتاب الله سبحانه وتعالى على أساس التسلسل الأبجدي، وقد تم تصنيف البحث الى ابواب ، وكل باب يتضمن عدداً من الصور الإعجازية التي تم ذكرها والمدينة التي نزلت بها تلك الآية إن دعت الحاجة إلى ذلك. [3]

ولعل من الممكن القول إن (الجغرافيا القرآنية) باتت أحد العلوم المتعلقة بتفسير القرآن الكريم. وهنا تتم الإشارة إلى أن القرآن الكريم ليس كتاباً علمياً أو دائرة معارف علمية، وليس من مقاصده إرشاد الناس إلى العلوم الكونية والجغرافية من باب التعليم، وإنما هو كتاب عبادة وهداية، ومنهج وعقيدة، يدعو الناس للإيمان بالله ووحدانيته، وبقدرته على الخلق والإبداع، بكل

---

[2] د. خالد العبيدي: "الهيدرولوجيا القرآنية"، الجزء الرابع: "المياه الجوفية في القرآن الكريم والسنة المطهرة"، على الرابط المباشر:

http://www.khalid-alubaidy.com/files/archives/226_1.pdf

[3] رنا محمد مجيد الغريري: "المعجم الجغرافي الخاص بألفاظ وأيات القرآن الكريم – دراسة في الجغرافية البشرية"، مجلة "الاستاذ"، السنة 2008 م، العدد 72، ص 719، على الرابط الآتي:

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=43560

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوسائل والسبل، ويؤكد على استخدام الحقائق الكونية الدائمة، داعياً الإنسان إلى التأمل والتعقل في قوانينها الثابتة، ونظمها الموضوعة، للتذكير بقدرة الله وعظمته، وما ورد فيه من آيات كان القصد منه التنبيه إلى ما في خلق العالم من آثار الإرادة، والحكمة والعلم، والقدرة، والإتقان والإتزان الدالة على وجود الله وعظمته، والتي تنفي قصة التكوين بالمصادفة، أو بالقوة الطبيعية التي تصنع كل شيء. [4]

ولعل مصداق ذلك في قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) } (البقرة: 164).

وقوله تعالى مشيراً إلى البر والبحر: { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23) } (يونس: 22 – 23).

وقوله تعالى فيما تمت به الإشارة إلى مخلوقات الله سبحانه: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ

[4] فوزي حميد: "الجغرافية القرآنية: برهان خارق على عظمة الخالق"، ط1، دار الصفدي، دمشق، 1414 هـ – 1993 م، ص 25.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23) } (النحل: 3 – 23).

وقوله تعالى: { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) } (النحل: 81).

جاء ذكر الأرض في أربعمائة وواحد وستين (461) موضعاً من كتاب الله، منها ما يشير إلى الأرض كلل في مقابل السماء، ومنها ما يشير إلى اليابسة التي نحيا عليها، أو إلى جزء منها. ومنها ما يشير إلى التربة التي تغطي صخور الغلاف الصخري للأرض. واليابسة هي جزء من الغلاف الصخري للأرض وهي كتل القارات السبع المعروفة والجزر المحيطة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العديدة. وفي هذه الآيات العديد من الإشارات إلى الحقائق العلمية عن الأرض والتي يمكن إيجازها بما يأتي:

(1) آيات تأمر الإنسان بالسير في الأرض، والنظر في كيفية بدء الخلق، وهي أساس المنهجية العلمية في دراسة علوم الأرض.

(2) آيات تشير إلى شكل وحركات وأصل الأرض: منها يصف كروية الأرض، ومنها ما يشير إلى دورانها، ومنها ما يؤكد على عظم مواقع النجوم منها، أو على حقيقة إتساع الكون من حولها، أو على بدء الكون بجرم واحد (مرحلة الرتق)، ثم إنفجار ذلك الجرم الأولي (مرحلة الفتق)، أو على بدء الخلق كل من الأرض والسماء من دخان، أو على إنتشار المادة بين السماء والأرض (المادة بين الكواكب وبين النجوم والمجرات)، أو على تطابق كل من السموات والأرض (أي تطابق الكون حول مركز واحد).

(3) آية قرآنية تتحدث عن الحديد الذي نزل من السماء إلى الأرض وهو ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة.

(4) آية قرآنية تؤكد حقيقة أن الأرض ذات صدع، وهي من الصفات الأساسية لكوكبنا، وقد أثبتت الدراسات ذلك منذ الستينيات من القرن العشرين.

(5) آيات قرآنية تتحدث عن عدد من الظواهر البحرية المهمة مثل ظلمة قيعان البحار والمحيطات.

(6) آيات قرآنية تتحدث عن الجبال، منها ما يصفها بأنها أوتاد، وبذلك يصف الشكل الخارجي، الذي على ضخامته يمثل الجزء الأصغر من الجبل.

(7) آيات تشير إلى نشأة كل من الغلافين المائي والهوائي للأرض، وذلك بإخراج مكوناتهما من باطن الأرض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(8) آيات تشير إلى رقعة الغلاف الصخري للأرض، وإلى تسوية سطحه وتمهيده.

(9) آيات تؤكد إسكان ماء المطر في كل من صخور الأرض وتربتها، مما يشير إلى دورة الماء حول الأرض وفي داخل غلافها الصخري.

(10) آيات تؤكد أن عملية الخلق تمت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة.

(11) آيات قرآنية تصف نهاية كل من الأرض والسموات وما فيها من كائنات.

ومن هنا تتضح أهمية القرآن الكريم في هداية البشرية، خاصة في الزمن الذي نعيشه اليوم، والذي فتح الله تعالى فيه على أبواب العلم بالكون ومكوناته ما لم يفتح به من قبل، وفتن الإنسان فيه بالعلوم الكونية وتطبقياتها. [5]

تنفرد الأرض في الكثير من الصفات التي لا يشاركها فيها أي كوكب آخر في المجموعة الشمسية أو حتى أي مكان في الكون بالحياة النابضة الموجودة على سطحها، تقع الأرض في المرتبة الثالثة في البعد عن الشمس بعد عطارد والزهرة، وتبعد عن الشمس في المتوسط 149.6 مليون كيلو متر، وهي مسافة الوحدة الفلكيةAstronomical Unit . وتبعد نقطة الحضيض عن الشمس 147.1 مليون كم، ونقطة الأوج 152.1 كم ، وتدور الأرض حول محورها –يومها– في 23 ساعة و56 دقيقة و 4.091 ثانية، وهي مدة يومها النجمي، أما اليوم المدني أو الشمسي فمدته 24 ساعة تماما. وتدور الأرض حول الشمس – سنتها النجمية – في 365 يوما و6ساعات و9 دقائق و9,5 ثانية، وتبلغ سنتها الاعتدالية (المده الزمنية بين الاعتدال الربيعي والاعتدال الذي يليه) 365 يوما و5 ساعات و48 دقيقة و46 ثانية. يبلغ طول نصف قطر الأرض 6378 كم، ومحيطها 24068 كم، وبذلك تقع الأرض في المرتبة

[5] د. زغلول النجار: "من آيات الإعجاز القرآني: الأرض في القرآن الكريم"، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1426 هـ – 2005 م، ص 81 – 84.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخامسة من حيث الحجم في المجموعة الشمسية، بعد المشتري وزحل وأورانوس ونبتون. ويميل محور دوران الأرض حول محورها 23 درجة و26 دقيقة، وينشأ بسبب الميلان الفصول الأربعة المعروفة، وهي المتطلبات الضرورية لديمومة الحياة على الأرض. وتبلغ كثافتها 5.52 من كثافة الماء، وهي أعلى كثافة في الكواكب السيارة التسعة، وتصل سرعة الافلات من سطحها 11.2 كم في الثانية. [6]

[6] مركز قطر لعلوم الفضاء والفلك، على الرابط الآتي:
http://qatar-falak.net/fullinfo.aspx?planet=earth

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

أقوال المفسرين

في تفسير الآية (56) من سورة العنكبوت

نماذج منتخبة

فيما يأتي نماذج من أقول المفسرين في تفسير قوله تعالى: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) } [العنكبوت : 56].

(1) مقاتل بن سليمان:

نزلت فى ضعفاء مسلمين أهل مكة إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان في إِنَّ أَرْضِي يعني أرض الله بالمدينة واسِعَةٌ من الضيق فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ يعني فوحدوني بالمدينة علانية، ثم خوفهم الموت ليهاجروا فقال- تعالى-: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (العنكبوت: 57)، في الآخرة بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم، ثم ذكر المهاجرين فقال- سبحانه- : { وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58) } [العنكبوت: 58]- لله- عز وجل-، ثم نعتهم فقال- عز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجل-: { الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59) } [العنكبوت : 59]، يعني وبالله يثقون في هجرتهم، وذلك أن أحدهم كان يقول بمكة أهاجر إلى المدينة وليس لي بها مال، ولا معيشة. [7]

(2) الطبري:

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحَّدوني، وآمنوا بي، وبرسولي محمد صلى الله عليه وسلم { أَرْضِي وَاسِعَةٌ } واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه. وعن سعيد بن جُبير، في قوله: { أَرْضِي وَاسِعَةٌ } قال: إذا عمل فيها بالمعاصي، فاخرج منها. وعن ابن جُبَير أيضاً قال: اهرُبوا؛ فإن أرضي واسعة. عن عطاء قال: إذا أمِرتم بالمعاصي فاهربوا، فإن أرضي واسعة. وعن عطاء { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } قال: مجانبة أهل المعاصي. وعن ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56) } فقلت: يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين، فقال: نعم. وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم. ذكر من قال ذلك: عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري في قول الله: { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ }: قال: إن رزقي لكم واسع. وعن مُطَرِّف بن الشِّخِّير أيضاً { إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ } قال: رزقي لكم واسع. وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن

---

[7] أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ): " تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث – بيروت، 1423 هـ، 3/ 388.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأرض إذا وصفها بِسعَة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب. وقوله: { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } يقول: فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحدا من خلقي. [8]

(3) الزمخشري:

يقول الزمخشري: "معنى الآية: أنّ المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدّر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً. ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير، ولقد جرّبنا وجرّب أوّلونا، فلم نجد فيما درنا وداروا: أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للأمر الديني في الجملة- من سكنى حرم الله وجوار بيت الله، فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب، ورزق من الصبر وأوزع من الشكر". [9]

(4) الرازي:

---

[8] محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، 1420 هـ - 2000 م، 20/ 55.

[9] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ، 3/ 461.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يخاطب الله تعالى في هذه الآية عباده بإِنْ تَعَذَّرَتِ الْعِبَادَةُ عَلَيْكُمْ فِي بَعْضِهَا فَهَاجِرُوا وَلَا تَتْرُكُوا عِبَادَتِي بِحَالٍ، وَبِهَذَا عُلِمَ الخروج وَاجِبٌ من دار الفتنة، حَتَّى لَوْ حَلَفَ بِالطَّلَاقِ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ لَزِمَهُ الْخُرُوجُ، وردع حَتَّى يَقَعَ الطَّلَاقُ. ويشير الرازي أن في الآية مسائل: إحداها: يا عِبادِيَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْمُخَاطَبَةَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. الثَّانِي: هُوَ أَنَّ الْخِطَابَ بِعِبَادِي أَشْرَفُ مَنَازِلِ الْمُكَلَّفِ، الثَّالِثُ: هُوَ أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِ بِسَعْيِهِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، فَالْإِضَافَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ بِقَوْلِ الْعَبْدِ إِلَهِي وَقَوْلِ اللَّهِ عَبْدِي تَأَكَّدَتْ بِدُعَاءِ الْعَبْد.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الفائدة من قوله: { الَّذِينَ آَمَنُوا }، فالْوَصْفُ يُذْكَرُ لَا لِلتَّمْيِيزِ بَلْ لِمُجَرَّدِ بَيَانِ أَنَّ فِيهِ الْوَصْفَ كَمَا يُقَالُ الْأَنْبِيَاءُ الْمُكَرَّمُونَ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُطَهَّرُونَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُكَرَّمٌ وَكُلَّ مَلَكٍ مُطَهَّرٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِبَيَانِ أَنَّ فِيهِمُ الْإِكْرَامَ وَالطَّهَارَةَ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ وَزَيْدٌ الطَّوِيلُ، فَهَهُنَا ذُكِرَ لِبَيَانِ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: إذ قال { يَا عِبَادِيَ } فَهُمْ يَكُونُونَ عَابِدِينَ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ بِقَوْلِهِ { فَاعْبُدُونِ } ففِيهِ فَائِدَتَانِ إِحْدَاهُمَا: الْمُدَاوَمَةُ أَيْ يَا مَنْ عَبَدْتُمُونِي فِي الْمَاضِي اعْبُدُونِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ الثَّانِيَةُ: الْإِخْلَاصُ أَيْ يَا مَنْ تَعْبُدُنِي أَخْلِصِ الْعَمَلَ لِي وَلَا تَعْبُدْ غيري[10].

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ: { فَإِيَّايَ } تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِشَرْطٍ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الْمَانِعِ مِنْ عِبَادَتِهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ إِذَا كَانَ لَا مَانِعَ مِنْ عِبَادَتِي فَاعْبُدُونِي، وَأَمَّا الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { فَاعْبُدُونِ } فَهُوَ لِتَرْتِيبِ الْمُقْتَضَى عَلَى الْمُقْتَضِي كَمَا يُقَالُ هذا عالم فأكرموه فكذلك هاهنا لَمَّا أَعْلَمَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: فَإِيَّايَ وَهُوَ لِنَفْسِهِ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ قَالَ { فَاعْبُدُونِ }.

---

[10] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ، 25/ 69.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْمَسْأَلَةُ الْخَامِسَةُ: قَالَ الْعَبْدُ مِثْلَ هَذَا فِي قَوْلِهِ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وقال عقيبه: وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَاللَّهُ تَعَالَى وَافَقَهُ فِي قَوْلِهِ: { فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } وَلَمْ يَذْكُرِ الْإِعَانَةَ نَقُولُ بَلْ هِيَ مَذْكُورَةٌ في قوله يا عِبادِيَ لِأَنَّ الْمَذْكُورَ بِعِبَادِي لَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ مَسْدُودَ السَّبِيلِ عَلَيْهِ مَسْدُودَ الْقَبِيلِ عَنْهُ كَانَ فِي غَايَةِ الْإِعَانَةِ.

الْمَسْأَلَةُ السَّادِسَةُ: قَدَّمَ اللَّهُ الْإِعَانَةَ وَأَخَّرَ الْعَبْدُ الِاسْتِعَانَةَ لِأَنَّ الْعَبْدَ فِعْلُهُ لِغَرَضٍ وَكُلُّ فِعْلٍ لِغَرَضٍ، فَإِنَّ الْغَرَضَ سَابِقٌ عَلَى الْفِعْلِ فِي الْإِدْرَاكِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ يَبْنِي بَيْتًا لِلسُّكْنَى يَدْخُلُ فِي ذِهْنِهِ أَوَّلًا فَائِدَةُ السُّكْنَى فَيَحْمِلُهُ عَلَى الْبِنَاءِ، لَكِنَّ الْغَرَضَ فِي الْوُجُودِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ فِعْلِ الْوَاسِطَةِ، فَنَقُولُ الِاسْتِعَانَةُ مِنَ الْعَبْدِ لِغَرَضِ الْعِبَادَةِ فَهِيَ سَابِقَةٌ فِي إِدْرَاكِهِ، وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى فَلَيْسَ فِعْلُهُ لِغَرَضٍ فَرَاعَى تَرْتِيبَ الْوُجُودِ، فَإِنَّ الإعانة قبل العبادة. [11]

(5) القرطبي:

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي تَحْرِيضِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ عَلَى الْهِجْرَةِ- فِي قَوْلِ مُقَاتِلٍ وَالْكَلْبِيِّ- فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِسَعَةِ أَرْضِهِ، وَأَنَّ الْبَقَاءَ فِي بُقْعَةٍ يؤذون فيها لَيْسَ بِصَوَابٍ. بَلِ الصَّوَابُ أَنْ يَتَلَمَّسَ عِبَادَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَعَ صَالِحِي عِبَادِهِ، أَيْ إِنْ كُنْتُمْ فِي ضِيقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ بِهَا فَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهَا وَاسِعَةٌ، لِإِظْهَارِ التَّوْحِيدِ بِهَا. وَقَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ وعطاء: إن الأرض التي فيها الظلم. وَالْمُنْكَرُ تَتَرَتَّبُ فِيهَا هَذِهِ الْآيَةُ، وَتَلْزَمُ الْهِجْرَةُ عَنْهَا إِلَى بَلَدٍ حَقٍّ. وَقَالَهُ مَالِكٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ:" إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَهاجِرُوا. وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ: الْمَعْنَى إِنَّ رَحْمَتِي

[11] تفسير الرازي، 25/ 70.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَاسِعَةٌ. وَعَنْهُ أَيْضًا: إِنَّ رِزْقِي لَكُمْ وَاسِعٌ فَابْتَغُوهُ فِي الْأَرْضِ. قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ غَالِيَةٍ فَانْتَقِلْ إِلَى غَيْرِهَا تَمْلَأُ فِيهَا جِرَابَكَ خُبْزًا بِدِرْهَمٍ. [12]

(6) إبن كثير:

هَذَا أمر من الله تعالى الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ فِيهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ إِلَى أَرْضِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ حَيْثُ يُمْكِنُ إِقَامَةُ الدِّينِ، بِأَنْ يُوَحِّدُوا الله ويعبدوه كما أمرهم. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنِي جُبَيْرُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبِلَادُ بِلَادُ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ، فَحَيْثُمَا أَصَبْتَ خَيْرًا فَأَقِمْ» وَلِهَذَا لَمَّا ضَاقَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مُقَامَهُمْ بِهَا، خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ لِيَأْمَنُوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المنزلين هناك: أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى، فآواهم وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، وَجَعَلَهُمْ سُيُومًا بِبِلَادِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الْبَاقُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَثْرِبَ الْمُطَهَّرَةِ. [13]

---

[12] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ – 1964 م، 13/ 357.

[13] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير ابن كثير"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ، 6/ 262. وينظر في تخريج الحديث: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، ، 1421 هـ – 2001 م، 3/ 37، رقم الحديث (1420).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

من كل ذلك، نخلص إلى أن الله تعالى قد نبه عقولنا وأذهاننا إلى أحد مخلوقاته العظيمة وهي كوكب الأرض، هذا الكوكب الواسع الفسيح الذي أنعم الله به عليه بشتى النعم، وجعله فسيحاً لعباده الصالحين من أجل أن يهاجروا فيه إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ولم يتمكنوا من عبادته على الوجه الذي يليق به سبحانه إلى مكان آخر من كوكب الأرض الفسيح لكي ينصرفوا إلى مهمتهم الحقيقية على الأرض وهي (العبودية الحقة لله رب العالمين).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قائمة المصادر والمراجع

1-حميد، فوزي: "الجغرافية القرآنية: برهان خارق على عظمة الخالق"، ط1، دار الصفدي، دمشق، 1414 هـ - 1993 م.

2-ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، ، 1421 هـ - 2001 م.

3-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: 606هـ): " مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ.

4-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ): " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ.

5-ابن سليمان، أبو الحسن مقاتل بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ): " تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث – بيروت، 1423 هـ.

6-الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ): " جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، 1420 هـ - 2000 م.

7-العبيدي، د. خالد: "الهيدرولوجيا القرآنية"، الجزء الرابع: "المياه الجوفية في القرآن الكريم والسنة المطهرة"، على الرابط المباشر:

http://www.khalid-alubaidy.com/files/archives/226_1.pdf

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

8-الغريري، رنا محمد مجيد: "المعجم الجغرافي الخاص بألفاظ وأيات القرأن الكريم – دراسة في الجغرافية البشرية"، مجلة "الاستاذ"، السنة 2008 م، العدد 72، ص 719، على الرابط الآتي:

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=43560

9-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671هـ): "الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي"، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ – 1964 م.

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "تفسير ابن كثير"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ.

11- مركز قطر لعلوم الفضاء والفلك، على الرابط الآتي:

http://qatar-falak.net/fullinfo.aspx?planet=earth

12- نادفي، سيد مظفر الدين: "التاريخ الجغرافي للقرآن"، ترجمة وتعريب د. عبد الشافي غنيم عبد القادر، مراجعة حسن محمد جوهر، لجنة البيان العربي، مصر، 1956 م.

13- النجار، د. زغلول: "من آيات الإعجاز القرآني: الأرض في القرآن الكريم"، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1426 هـ – 2005 م.